عرض كتاب

الجمهورية التركية الجديدة، تركيا كدولة محورية في العالم الاسلامي

للمؤلف جراهام فولر

عرض: الاستاذ المساعد الدكتور

عامر احمد كامل(*)

صدر عن مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، كتاب الام ارات بعنوان الجمهورية التركية الجديدة للمؤلف ج راهام فولر ويتناول هذا الكتاب دور تركيا الخاص في الشرق الاوسط ويركز الباحث على المدة عام ٢٠٠١ اذ تنامى دورها بدرجة كبيرة لسببين يتعلق الاول باثر احداث ١١ ايلول وما تلاها م ن حرب عالمية على الارهاب وصلت معاركها ت خوم تركيا ويتعلق الثاني بوصول حزب العدالة والتنمية الى سدة الحكم.

ويطرح الكاتب عددا من الاسئلة المثيرة للاهتمام مثل مالذي تستطيع فعله تركيا في مرحلة تتسم بالاحتجاجات والاضطرابات المتصاعدة في المنطقة؟ وهل يستطيع حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب اردوغان تـجاوز الصعوبات والتحديات التي تواجهها بلاده ونقل التجربة العلمانية – الاسلامية الى بلدان المنطقة؟ وهل تتمكن تركيا في ظل الظروف الاقليمية والدولية المعقدة الدخول الى الاتحاد الاوربي؟ وكيف ستكون مسارات السياسة الخارجية المستقبلية في منطقة الشرق الاوسط؟ هذه الا سئلة يطرحها جراهام فولر في كتابه ويجيب عليها من خلال معطيات مسارات السياسة التركية بادراك صانع القرار السياسي باهمية التعاون الدولي وضرورة التمسك بتحقيق مصالحها بصورة لاتؤثر على المصالح القومية الاخرى وهذا سيخرج تركيا من بلدا طرفا له مشكلات متواصلة مع جيرانها الى بلد مركزي حيث تؤهلها جغرافيتها الى تكون في قلب الاحداث.

يقسم الباحث كتابه الى ثلاثة اجزاء ركز الجزء الاول استعراض تاريخي لسياسة تركية الخارجية حيال منطقة الشرق الاوسط فيما تضمن الجزء الثاني وهو من اطول اجزاء البحث الثلاثة حول وصول حزب العدالة والتنمية فيما ركز الجزء الثالث على المسارات المستقبلية لدور تركيا في منطقة الشرق الاوسط.

(*) **باحث في قسم الدراسات الاسيوية–مركز الدراسات الدولية–جامعة بغداد.**

يتكون الجزء الاول في الكتاب من ستة فصول تناول في الفصل الاول مواقف تركيا من الشرق الاوسط اذ نظرت النخبة المتعلمة من الاتراك بان الاقتراب من الغرب هو الافضل لمستقبل بلادهم وكانت هناك ثلاث عدسات لرؤية مسار السياق التركي : الكمالية والتاريخية والدائرية / الايديولوجية.. فوجهة النظر الكمالية والتي تمثل نقطة تحول جذرية في التاريخ التركي التي اخذت البلاد في اتجاه جديد مثير عقب انهيار الامبراطورية العثمانية المتاكلة والمتعددة الثقافات ومن وجهة النظر هذه فان القدرة الكمالية حولت دولة ما بعد العثمانية الى دولة وطنية مغربة ومتجانسة وقائمة على الاثنية وقد رفضت هذه الدولة الوطنية الجديدة التي صورت على اساس انها جزء من الحضارة الغربية المتقدمة ماضيها الاسلامي المتخلف والقمعي وهذه الرؤية ال تغريبية اجيزت لنخبة كمالية سوف تقود تركيا من ماضيها العثماني المظلم الى مستقبل تغريبي اكثر لمعانا واستنارة . اذن من وجهة النظر الكمالية الكلاسيكية تلتزم تركيا تماما بان تولي شطرها نحو الغرب ويتم النظر الى الشرق الاوسط كقوة خطيرة ومدمرة ينبغي حماية تركيا منها حتى يتم الحفاظ على نقاء ارث اتاتورك التغريبي.

اما وجهة النظر التاريخية يرى بان مسار تركيا في الاصلاح لم يبدأ مع تشكيل الجمهورية التركية الجديدة بل بدا مع التنظيمات (الاصلاحات الادارية) في عام ١٨٣٩ ولكن هذه الرؤية كانت اقل شعبية وسط الايديولوجيين الكماليين. فيما كانت وجهة النظر الثالة الدائرية تعد كلا من مركزية التغيير المؤسسي الكمالي والتواصلية الكبرى للتقاليد الاصلاحية اذ ادخلت عددا من البدع الاستبدادية في الحياة التركية السياسية والاجتماعية والايدولوجية.

فيما ركز الفصل الثاني من الكتاب على التجربة العثمانية وتساءل جراهام فولر هل هي جيدة ام سيئة؟ يؤكد بان عمر طول الامبراطورية العثمانية اعتمد بدرجة كبيرة على المشروعية التي كانت تحظى بها وسط المسلمين وان قوتها زسيطرتها تم باسم العقيدة.

وينتقل الكاتب الى القرن التاسع عشر والتهديدات التي واجهتها الامبراطورية العثمانية قد وصنفها الى ثلاث وهي المخططات الامبرالية الاوربية على اراضيها والانتفاضات وحلات التمرد وسط المجموعات السكانية المسيحية في البلقان. ويسرد الباحث مراحل تفكك الامبراطورية العثمانية وكانت المظالم المحلية والمركزية هي السبب الرئيسي في تفككها . وفي مراحل لاحقة ا صبحت القومية العربية في مواجهة القومية التركية وقيام الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦ بسبب سعي الحجاز وراء امبراطورية محلية وراثية بقيادة الشريف الحسين بن علي . كما ان بروز الحركة الاسلامية العالمية قد ظهرت مع تحول السلطان عبد الحميد الثاني الى تبني ايدولوجية الحركة

الاسلامية العالمية كي يحافظ على تماسك الاجزاء الاسلامية.

في الفصل الثالث يستغرق جراهام فولر في التجربة الكمالية وكيف جرى تحولهم عن العالم الاسلامي واعادة خلق الدولة والامة التركية والغاء الخلافة واثرها الدولي واحساس المسلمين بالرفض وتخليا استراتيجيا عن العرب وتشويه الاتراك لسمعة العالم العربي وملامح الخط الاسلامي الداخلي وينتقل الى علاقات تركيا الحديثة مع العراق والنزاع على الموصل ولواء الاسكندرونة مع سوريا واستمرارية النزاعات حول الحدود ثم يختتم الكاتب هذا الفصل بالقول بانه حتى الحرب العالمية الثانية كان العالم الاسلامي يلعب دورا شديد التواضع في حسابات السياسة التركية واظهرت برودا متميزا ان لم يكن احتقارا اتجاه المنطقة.

وفي سياق تطور سياسة تركيا يعود الباحث ليفصل الفترة الفاصلة اثناء الحرب الباردة انحياز تركيا الى الغرب بسبب المخاوف من الخطر السوفيتي المتصاعد والعداء الايدولوجي التركي تجاه العالم العربي الذي مثل عمقا في تاريخ العلاقات الامريكية التركية ولكن الحرب الباردة كانت ايضا عصرا ضيقا بشكل متفرد وناجحا في السياسة الخارجية التركية.

كما تناول في فصل بشكل مختصر ازمة تركية في الانحيا ز الى الولايات المتحدة الامريكية وعلاقات الدول الاقليمية كايران وسورية والعراق ويختتم هذا الفصل بستينات القرن الماضي الذي ركزت فيه تركيا على المصالح الاقتصادية الحيوية واليونان وقبرص والمشكلة الكردية.

في الفصل الخامس انتقل الكاتب الى عمليات انفتاح جديدة على العالم الاسلامي ويعود عقد السبعينات ١٩٧٠-١٩٨٠ بانه من العقود التي شهدت مشاركة اقتصادية تركية متزايدة في الشرق الاوسط ويتناول الباحث الحرب العراقية الايرانية وعصر اوزال وحرب الخليج عام ١٩٩١ وظهور حزب الرفاه الاسلامي في الانتخابات القومية لاول مرة في عام ١٩٩٥ حيث صدم هذا التطور المؤسسة الكمالية التي قبلت على مضض مشاركة الاسلاميين.

اما منظمة المؤتمر الاسلامي فلم تعلق الكثير على عضويتها في البداية الا انها وبعد وصول الاسلاميين بدات تنظر اليها باهتمام اكبر كاداة دبلوماسية مفيدة وخاصة اثناء ازمة البوسنة.

ويتحدث الكاتب في الفصل السادس عن بروز الاسلام التركي مجددا ويقصد حزب العدالة والتنمية الذي يفصل كيفية حدوث تحول كبير بعد استلام هذا الحزب في سياسة تركيا الخارجية تجاه الشرق الاوسط كما يتناول حركة فتح الله جولان بوصفها ظاهلاة رئيسية اخرى في الفكر والعمل الاسلامي التركي التي تعد اكبر حركة دينية في تركيا ويتسائل الكاتب هل هناك اسلام

تركي؟ ويجيب بان فتح الله جولان يؤكد بان اسلام التركي فرع مختلف عن الاسلام كون التعبير التركي مستمد من الظروف الثقافية والتاريخية من الفترات السلجوقية والعثمانية التركية ويختتم الفصل باستنتاج مفاده بان الاسلاميون اكثر قوة فكرية خلاقة في البلاد في هذه القضايا المفاهيمية.

الجزء الثاني من الكتاب تناول فيه الكاتب علاقات تركيا مع العالم الاسلامي وما وراءه وتكون هذا الجزء من عشرة فصول بدأ في الفصل السابع الذي جاء بعنوان سياسات حزب العدالة والتنمية مع العالم الاسلامي وما وراءه وركز الكاتب على ان الحزب الحاكم يقر مسؤولة بالانفتاح المستمر على الشرق الاوسط رغم انه تردد في التحرك بسرعة كبيرة او بشجاعة في مبادرات الشرق الاوسط الجديد ومع ذلك يؤكد الكاتب بان تركيا وفي ظل حزب العدالة والتنمية تمضي عبر مناصرة عمليات الشرق الاوسط المتعددة الاطراف ومؤسسات اقليمية اخرى اما الدول العربية فان تركيا سعت الى تمتين علاقاتها معها وقام رئيس الوزراء اوردوغان بزيارات الى الدول العربية وحاول ايضاح رؤية بلاده للقضايا الاقليمية كما شدد كثيرا على تطوير روابط اقتصادية قوية.

ويرى جراهام فولر بان حكومة حزب العدالة والتنمية حاولت وقبل الغزو الامريكي للعراق اطلاق مبادرات وجمعت ستا من جاراتها حيث استهدف الاجتماع بوضوح الى منع هجوم عسكري امريكي على العراق وفي المحصلة صوت البرلمان الذي يهيمن عليه حزب العدالة والتنمية حرمان الولايات المتحدة الامريكية من استخدام التراب التركي لغزوه.

اما سوريا فان العلاقات التركية – السورية شهدت تمسكا كبيرا وخاصة مع سلسلة من الزيارات الرفيعة المستوى وقامت تركيا بالتوسط في الحوار السوري – الاسرائيلي وفي دعوتها الى ضرورة الاصلاح الداخلي في النظام السياسي في سوريا.

فيما تحسنت العلاقة التركية – الايرانية بعد زيارة الرئيس التركي سيزر لايران ونادى الى بناء علاقات اقتصادية بين تركيا وايران كما جرت اجتماعات رفيعة المستوى متكررة بين المسؤولين الاتراك والايرانيين ويشير الكاتب الى العلاقات بين الجانبيين لم تلق ال ترحيب من قبل الولايات المتحدة الامريكية.

اهتمت حكومة حزب العدالة والتنمية اهتماما كبيرا بالقضية الفلسطينية وايدت حركة حماس خاصة بعد فوزها لانتخابات عام ٢٠٠٦ ودعت خالد مشعل لزيارة تركيا.

كما ا حتفظت تركيا بعلاقات وثيقة مع اسرائيل الا ان رجب طيب اردوغان تحدث بصرامة عن الطبيعة القاسية لسياسات اسرائيل تجاه الفلسطينين ووصف اردوغان : اغتيال اسرائيل للشيخ احمد ياسين بالعمل الارهابي ورغم هذه الانتقادات ضلت الروابط الاقتصادية التركية مع

اسرائيل قوية.

وحرص الكاتب على استعراض علاقات تركيا مع منظمة المؤتمر الاسلامي لاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية التي استضافت ولاول مرة اجتماعا لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الاسلامي في اسطنبول وتولت تركيا رئاسة المنظمة وكانت تامل تركيا ان يتم دمقرطة واصلاح وتعزيز وعقلنة الية منظمة المؤتمر الاسلامي.

يختتم الكاتب هذا الفصل باستنتاج مفاده حكومة حزب العدالة والتنمية سعت الى لعب دور الوسيط بين دول علاقاتها متوترة مع الولايات المتحدة خاصة والغرب عموما وتحسين الروابط مع الدول والمنظمات الاسلامية التي ينظر اليها كجهات معادية للغرب مثل ايران وسورية وحماس وانتهجت تركيا سياسة السلام الفعال بمعنى انها ينبغي ان تبقى قنواتها مفتوحة لكل اللاعبين السياسين في المنطقة.

حاول الكاتب في الفصل الثاني ان يستعرض اسس النفوذ الاقليمي لتركيا من خلال البحث في مقدرات تركيا العسكرية ويركز على قوة الجيش ا لتركي وعدها اكثر قوة عسكرية ذات اهمية في الشرق الاوسط وثاني اكبر قوة دائمة في الناتو عد الولايات المتحدة امريكية ومساهمة في قوات حفظ السلام الدولية وبشكل عام استمرت تركيا في اظهار قدراتها والعمل مع الامم المتحدة والمجموعات الدولية الاخرى.

اما العوامل الاقتصادية والمالية فان الكاتب يراها في تصاعد بعد اعتماد اقتصاد السوق وانضمام تركيا الى الاقتصادات العشرة الجديدة الناشئة في العالم كما بدات تركيا بتصدير قوتها العاملة الى الشرق الاوسط وارتفعت صادرات تركيا الى الفشرق الاوسط بنمو خمسة اضعاف من ١,٥ مليار في عام ١٩٩٠ الى ٧,٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٤ وتعد تركيا لاعبا رئيسيا في حلبة الطاقة كمستهلك ونقطة عبور بين الشرق والغرب اما الغاز والنفط فان واردات تركيا تاتي من المملكة العربية السعودية وايران والعراق وسوريا وروسيا.

وتحاول تركيا تنويع مصادرها من الغاز الطبيعي . واصبحت تركيا قطب الرحى فيما يتعلق بخطوط عبور الطاقة وخاصة من بحر قزوين واسيا الوسطى مع افتتاح خط انابيب باكوتيلي جيهان في ايار ٢٠٠٥. كما اعيد افتتاح خط كركوك بمورتاليك في عام ٢٠٠٤.

وينتقل الكاتب الى السياسات المائية التي لها دورا كبيرا في السياسة الخارجية الت ركية وتسعى الى مد انابيب السلام الى كل من الاردن واسرائيل وغربي المملكة العربية السعودية او حتى الخليج العربي.

اما المشكلة الكردية فخصص لها الكاتب حيزا مهما لشرح ابعادها مؤكدا بانه لايوجد تمييز رسمي ضد الاكراد داخل تركيا حيث لم يفرضوا هويتهم الخاصة فالجميع اتراك وخلال معظم القرن العشرين كانت السياسة الكردية تحت نظر الجيش الي عامل المشكلة بشكل حصري ويمثل حزب العمال الكردستاني تحديا معينا بالنسبة الى تركيا فهو الحركة الاولى والوحيدة الممثلة للاكراد.

في خاتمة هذا الفصل يعبر جراهام فولر عن استشراق لمستقبل تركيا لتنامي قدراتها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية في ظل السياسات الحالية التي ينتهجها حزب العدالة والتنمية.

ويتناول في الفصل التاسع علاقة تركيا بسوريا بوصفها تشكل اهمية كبيرة فبعد ان كانت علاقاتها متغيرة بسبب النزاعات الحدودية ومنافسات الحرب الباردة ومشكلات المياه والقضية الكردية والعلاقات مع اسرائيل الى انها تغيرت ايجابيا وشملت العلاقات الاقتصادية وزيادة في حجم التبادل التجاري واقامة شركات مشتركة وبناء شبكات الكهرباء المشتركة في المناطق الحدودية.

وفي الفصل العاشر حدد الكاتب افق العلاقات التركية – العراقية مستعرضا قضية الموصل والموقف التركي في الحرب العلاقية – الايرانية وانعكاسات حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ الى حرب الخليج الثالثة واحتلال العراق في عام ٢٠٠٣ علاوة على قضية كركوك والتركمان وشمل هذا الفصل البعد الاقتصادي ودور القطاع الخاص التركي في الهيمنة على معظم المشاريع العراقية

واختتم الفصل بتحليل واقع علاقات مع الدول الاقليمية بعد الغزو الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ وهواجس تركيا من قيام دولة كردية مستقلة في شمال العراق ويرى افضل الخيارات لتركيا هو تقبل التعاون مع الكيان الكردي الجديد.

اما علاقة تركيا بايران فقد تناولها الكاتب في الفصل الحادي عشر وركز على ابرز مفاصل تلك العلاقة ابتداء من الاختلاف المذهبي ومرورا بالتقريرات الحدودية بين ايران والعثمانية ومصالح الاقليات عبر الوطنية الى الاقليات الناطقة بالتركية والارهاب فضلا عن العوامل الاقتصادية والمخاوف الامنية الدولية والقضايا النووية ويختتم هذا الفصل برؤية تركز على قلق ايران من قرب تركيا من الغرب والالتزام بالسياسات الاستراتيجية الغربية ضد ايران اذ استخدمت المؤسسة العسكرية التركية في تسعينات القرن الماضي بالتقارب الاستراتيجي مع اسرائيل.

والفصل الثاني عشر بين فيه الكاتب طبيعة العلاقات التركية –الاسرائيلية ودور فلسطين في الفكر التركي مركزا على العامل العسكري في العلاقات التركية – الاسرائيلية علاوة على التعاون المدني والخلاف الاخير بين تركيا واسرائيل حول الانتقادات التركية العلنية للسياسة الاسرائيلية

ويختتم الفصل بعبلوة يلخص فيها علاقات الجانبين بانها عنصرا مهما في المخطط الاعم للعلاقات الدبلوماسية الاستراتيجية الشرق اوسطية.

والفصل الثالث عشر تناول فيه الكاتب علاقة تركية بكل من مصر والمملكة العربية السعودية ودول الخليج وافغانستان ويفصل هذه العلاقة بالشكل الذي يعتبرها من افضل العلاقات المرتكزة على المصالح الاقتصادية الضخمة غير انه يرى بان علاقات تركيا مع افغانستان التي تشكل جزء من اسيا الوسطى الكبرى وشاركت تركيا في القوات الدولية فضلا عن تقديم الدعم والتدريب لقوات تحالف الشمال ورغم ان الكاتب حاول ان يغطي علاقات تركيا مع اوراسيا في الفصل الرابع عشر الا انه اسهب في التعمق بالعلاقات التاريخية واستعرض بشكل مفصل علاقة تركيا مع القوقاز واذربيجان لاسيا الوسطى عنوانا خاصا لاربعة دول هي تركمنستان واوزبكستان وكازاخستان وقرغيستان.

وبحث في الفصل الخامس عشر علاقة تركيا باوربا ومحاولا تها الحثيثة للانضمام الى الاتحاد الاوربي ويرى الباحث ان على اوربا ان تقيم وجها اسلاميا لها بالاضافة الى الاوجه المسيحية واليهودية والهندوسية والمرجح ان يكون الاتراك اكثر الجاليات المسلمة في اوربا تقدما ولكن ازدياد المواجهات العسكرية للولايات المتحدة الامري كية في العالم الاسلامي وازدياد الارهاب بشكل ملحوظ في الغرب او انزلاق منطقة الشرق الاوسط بكاملها نحو مزيد من الفوضى كل ذلك سيلحق دون شك قدرا من المعاناة بطلب عضوية تركيا الى الاتحاد الاوربي.

وجاء الفصل السادس عشر ليغطي العلاقات التركية– الامريكية من خلال اط لالة تاريخية ينتقل الكاتب الى مصادر التوترات بين البلدين الا انه يبدي كثيرا من المخاوف المتشابهة والمترابطة لاسيما عندما تتناقض تلك المصالح.

لقد كان دخول تركيا في حلف شمال الاطلسي عام ١٩٥٢ بلا شك مكسبا استراتيجيا حيث ادخلها في النظام الغربي وهياكله المؤسسا تية ووفرت لها امن حيويا ضد التهديد السوفياتي ويستعرض الكاتب تاريخيا مسارات العلاقات بين الطرفين ليصل الى عام ٢٠٠٣ ليؤكد بان الغزو الامريكي للعراق تسبب في توتر العلاقات بين الجانبين بعد اتباع الحكومة التركية سياسة اتسمت بالاستقلالية ونهاية الاذعان التركي للاملاءات الامريكية ويتساءل جراهام فولر بالقول هل ثمة توافق بين المصالح التركية والامريكية يجيب بان للبلدين رؤية مشتركة حول القل من الارهاب وقضايا اخرى كثيرة تهم الشرق الاوسط.

الا ان الوضع الراهن يشير الى ان البلدين لهما منظوران شديدا التباين حول العديد من

القضايا كمشكلة حزب العمال الكردستاني والملف النووي الايراني والموقف من اسرائيل واحادية الولايات المتحدة الامريكية وخياراتها السياسية.

الجزء الثالث والاخير حمل عنوان المسار المستقبلي لتركيا ويحدد الكاتب سيناريوهات السياسة الخارجية ويلخصها بسياسة محورها الولا يات المتحدة الامريكية واوربا والرؤية الاستراتيجية لوزارتي الخارجية التركي الحالي احمد داود اوغلو مستعرض كتابه العمق الاستراتيجي مكان تركيا في العالم والرؤية الاستراتيجية لسيدات لاسيناروهو صحفي وعالم ومدير للمنظمة الدولية للبحوث الاستراتيجية ويختتم الكاتب بعنوان ماذا بامكان واشنطن ان تفعل وتاثير العلاقات التركية الامريكية في المنطقة.

وفي الختام يمكن القول بان الكتاب وثق التطورات السياسية الداخلية والخارجية للسياسة التركية ومع تحليل المسارات السياسة الخارجية التركية الاقليمية وافرد الباحث حيزا كبيرا لمستقبل تركيا في المنطقة .. الكتاب جدير بالقراءة وسيضيف للمكتبة العربية رصيدا جديدا من الكتب المهتمة بالشان التركي.